صوت المرأة المسلمة

العدد : ١٨٩ الموافق في ذو الحجة ١٤١٧ هجري ٥ / ١٩٩٧ ميلادي

رسالة من جميلة البوسنوية : إرادتك الحرة يقين عزائي	بقلم : سها عبد الحميد أحمد

صدر في العدد الماضي مقالة تحت عنوان : **رسالة إلى جميلة البوسنوية : عجزك الأسير... إرادتي الحرة**. وها نحن نورد في العدد الحالي جواب تلك الرسالة.

ابنتي الموجوعة... أشكرك على سطور رسالتك... أشكرك...

أردتيني سيدة ، وأنا المواد الأولية للتجارب في المخابر الدولية

أنا العناصر الإنسانية التي لا يدفعون عليها الضرائب...

إنني في تصنيف حضاراتهم مادة بشرية من الدرجة العاشرة ، أعامل كمركب أساسي لبناء معادلاتهم في بناء الأمم الذي يحتفظون لأنفسهم بشرف اكتشافها ، لا يعنيهم ذوبان إنسانيتي واحتراق ذراتي... يهمهم وقوفهم على المنصة وتصفيق الشعوب المخدرة والدول المغلوبة على أمرها ، وهم ينالون لقب أرقى الأمم محتفظين لأنفسهم بسرية حياكتهم من خيوط دمي أبهى علم.

بُنيتي... يحاولون في تجاربهم تنقية دماء أحفاد شارلمان ،

وعندما يعجزون يلصقون بي وحدي التهمة

يجلدونني بصلبانهم البدعة

كأنني صاحبة المهمة

فأين الألم الذي يترجم أحزانه بهمة

ويعيد لإنسانيتي من جديد مكانها في القمة

أي بنية... كلنا أعضاء في جسد العالم الإسلامي ، لكن السياط عندما تضرب تعرف منازلها جيداً.

مصيبة هذا الجسد أن كل عضو يئن بمعزل عن العضو الآخر ، مصيبته أنه فقد الحس المشترك ، وانتهكت حرمة الرعشة التي تدب في خلاياه بآن واحد... أقيمت بين حواسه الحواجز.

دخلتُ بيتك وضجيج أطفالك يسألني عن رحيل الصوت الذي غاب عن مسامعي وهو نبض حواسي... وحبيبك العائد إليك ذكرني بحبيبي الغائب عني وهو المستقر في دمي ، وباب بيتك ، الذي طرقته ، صرخ في وجهي ليذكرني أن أبواب البيوت التي تُقرع قبل أن تُدخل أصبحت سبلي وقد ضاقت

حضارة العالم ذرعاً بموقع بيتي على خارطة الكرة الأرضية...

لم يرقها موقع الهلال صامتاً ينطق وسط صراخ أجراس لا تُسمع ، ورأت أن وجوده في كتبهم جملة لا محل لها من الإعراب. كيف لا ، وأصالة أبجديتي تهدد حروفهم المركبة ، وبلاغتهم المسروقة ، وإبداعهم المستعار ، فلم تكلفهم القضية أكثر من استعارة ممحاة الإنسانية الأوروبية المشتركة ، التي تملك الصلاحية المطلقة في حذف ما تشاء متى تشاء... وهم على يقين أنها أصل اللغات وخلود الأبجديات.

وتطالبينني بسؤال ! فجائع العالم الإسلامي... أيها أسأل فهن كثيرات وكيف أسأل التاريخ ومأساتي كبوة التاريخ.

نعم بنيتي... للعالم آذان تسمع صمت المأساة ، وأنا صوتها ، وتعصف الغيرة في ضميرك ، وتسألينني إن كان يكفيني خوفك على بقية تركوها لي من كرامة ، وتظنين أنك كتمت مشاعرك بصرامة ، لقد أحسست بك... إن الذي تشتعل ضلوعه ويحترق ، يُحس بمن لا يزال في المكان الذي لم يصل إليه اللهيب بعد ، وإن كانت أصابعك المرتعشة ، التي دست النقود في يدي ، أحست بعار العالم الإسلامي ، فأنوثتي وعفافي عذرية هذا العار ، وعذرية العار كارثتها أنها لا تغتصب.

بنيتي... كلا لا تكفينني أحاسيسك ؛ فهي لن تبني لي حتى ولو هذا السقف الجائر... وخوفك لن يرد لي بعضاً مني ، وكل ما تبقى من حياتي لن ينسيني صورة بناتي المغتصبات ، وحفيداتي المضطهدات... لقد أبيد حناني ، ولست اليوم أكثر من صخرة أنثوية تنبض بها دقات الغضب ، ورنات الأسف ، إنني أهنئ الحضارة الغربية بهذا السمو الذي وصلت إليه من صوت حقوق الإنسان...

وأهدي جراحي تصفيقاً حاراً لعظمة المضمون الذي تحمله معابد الصلبان

وأطالب محاكم تفتيش قرن الهذيان

أن تعيد النظر في طبيعة الأشلاء التي تجنيها ، وماهية الأنقاض التي تزرعها. إنني في الحقيقة أحمل في صدري عتاباً ميتاً على قيد الحياة. ليس على سرطان الكفر الذي أكل خلايا كل جميلة في البوسنة ، وكل جميلة في الأقصى ، وكل جميلة في كشمير. بل على ضمائر الأئمة ووجدان العلماء.

عاتبة على كل خطيب ارتقى المنبر فبكى وأبكى المصلين ثم عاد وإياهم إلى مستقرهم آمناً شبعاناً مطمئناً.

دموعهم لم تمتد أياديها لتنقذ طفلة العاشرة وهي تتلوى كالمسعورة في أحضان عاري في

الأربعين خامداً أنفاسها بغريزته التي لم يتبق له سواها سلاحاً يتحدى به ثبات العالم الإسلامي العميق.

كم عددهم مئات كانوا أم ملايين

كيف ؟ كيف لم يهزهم هذا الأنين

وعلام لم يوقظهم رجاء هذا الحنين

الحنين إلى بيت دافئ وطعام ساخن وشراب لائق وذعر غائب ؟!

أين واضعي الحدود ومسيري الأمم ؟

أين القائمين بواجب القرآن وفرائض الإيمان ؟

أين الرجال الذين لا تسلبهم قوة في الدنيا حق الدفاع عن النساء ؟

أين الإيمان الذي لا يمنعه جبروت من أن يكون حقاً إيماناً ؟

وتتألمين لفهمنا لغة الجلاد المستحدثة !... من الذي أجبرنا على تذوقها ؟

سامحيني ابنتي لم أعد أقوى على قول المزيد ، فلقد انتهى الكلام ، فإن كان حقاً عجزي الأسير إرادتك الحرة فهذا يقين عزائي.

أبلغي المرأة التي نضج جنينها واكتمل... أبلغيها أننا بحاجة إلى نفير عام وطلقات جذرية ، وولادة أبدية

وإن كنت حقاً ترين أنني ضحية ، وأنك مسؤولة ، فلا أريد حياتك ، ولا أن تُشهدي العالم ؛ فحياتك أقصر من موتي.

أريد جهادك ، ولتشهدي الله فهو حي لا يموت

أما أنا فسأحزم نفسي في حقيبة ، فلقد انتهت مدة ضيافتي ، وقد انتهى دور مدينتي من الدمار... أعود إليها ، متاعي حنيناً مذعوراً ، من غير بقيتي وبلا بدايتي ، مبتورة عن استمراري.

لن أودعك بنيتي ، فلقد تركت في سجلات تاريخكم الحديثة وثائق صورتي الشاحبة ، وقصة دمعتي المحنطة ، وحدث كرامتي المستأصلة.

تاركة إنسانيتي سبية من سبايا مخابر الحضارة ، محمّلة مسلمة اليوم أن تعتقني حتى لا يكون مصير حفيداتي امتداداً لي.

وهل يصون عذرية الأنثى سواها ؟

وحتى تنجب أحفاد العمرة والمعتصمين والعبادلة ، الذين كانوا حقاً عمرة ومعتصمين وعبادلة ؛

نحتاج إيماناً لا حدود له من الأسماءات

وجواهراً لا تضيع من الرقيات

وعلماً وفقهاً من الأعماق إلى الأعماق من العائشات

وأجيالاً تكرر أجدادها الأوائل من تربية الفاطمات.

ولن أكون غداً كماً هائلاً من الضحايا

وأنت كيفاً سامياً من الجيوش المجاهدة

أسلحتك عصارة أنوثتك

وجنودك مضمون عقيدتك

وساحة معركتك... جهادك اليومي أبناؤك

عندها... ستنطق حتى الجدران

وسيبرز من رحمك الفرسان

وسينادي في أعماق كل إنسان الإنسان :

أنه قد آن الأوان

أن نكف كمسلمين عن لعبة الاختباء وراء الجدران .